**الدين الإسلامي وأسئلة الحداثة الكبرى في القرن الحادي والعشرين**

**هشام مصباح**

**البريد الالكتروني:** [**hicham.philo21@gmail.com**](mailto:hicham.philo21@gmail.com) **جامعة باتنة 1 الجزائر**

**الملخص:** يعتبر الحديث عن الحداثة اليوم مرادفٌ للعديد من التحولات الكبرى التي عرفها العالم الغربي على وجه الخصوص لأنه لا يمكن الحديث عن الحداثة من دون ربط التغيرات الكبرى التي عرفها العالم بدءاً بظاهرة العولمة وما نتج عنها من تغيرات كبرى مست جميع مناحي الحياة سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية وغيرها من المجالات، ولأن الحداثة مرادفة للعديد من المفاهيم من قبيل الحرية الفردية والعلمانية التي ترفض الدين وتؤسس للفصل بين الدين والدولة، كان الحديث عن الدين والفهم الديني ضرورة أولية اقتضتها الحداثة ومن ثمة إعادة طرح الأسئلة الحاسمة المتعلقة بالواقع الإنساني الراهن في شقه الديني على وجه الخصوص، خصوصاً أمام التحديات الكبرى التي يطرحها العالم اليوم على جميع الأصعدة، فكيف يمكن البحث عن قراءة جديدة للدين أمام هذه الأفكار الحداثية؟ وما هي أوجه الخلاف القائمة حول هذه المسألة أي انعكاسات الحداثة على الوعي العربي الإسلامي بوجه الخصوص؟.

**الكلمات المفتاحية:** الحداثة، الدين الإسلامي، الإنسان المعاصر، الواقع العالمي، ما بعد الحداثة.

Summary: Talking about modernity today is considered synonymous with many of the major transformations that the Western world has witnessed in particular, because it is not possible to talk about modernity without linking the major changes that the world has known, starting with the phenomenon of globalization and the resulting major changes that have affected all aspects of life, whether economic or social. Or political and other fields, and because modernity is synonymous with many concepts such as individual freedom and secularism that rejects religion and establishes the separation between religion and state, talking about religion and religious understanding was a primary necessity required by modernity, and from there re-posing critical questions related to the current human reality in its religious aspect. In particular, especially in the face of the major challenges that the world presents today at all levels, how can we search for a new reading of religion in the face of these modernist ideas? What are the areas of disagreement surrounding this issue, i.e. the repercussions of modernity on Arab-Islamic consciousness in particular?

**Keywords**: modernity, Islamic religion, contemporary man, global reality, post-modernism.

**أهمية البحث وإشكالياته الرئيسية والفرعية:** تكمن أهمية هذه الدراسة الموسومة بالدين الإسلامي وأسئلة الحداثة الكبرى في القرن العشرين إلى تسليط الضوء على مجموعة من الأسئلة المحورية المتعلقة بمصير الفرد المسلم في ظل التحديات المفروضة عليه في زمن الحداثة وما بعدها، وزمن العولمة والتسارع العلمي والمعرفي الرهيب الذي يعيشه العالم اليوم في بدايات القرن الحادي والعشرين، هذا القرن الذي أصبح بمثابة القرية الصغيرة المتقاربة في الجغرافيا والتاريخ بفضل ما أتاحته الثورة العلمية من منجزات فاقت قدرة العقل الإنساني على تصورها هي أسئلة تتعلق بالدرجة الأولى بطبيعة الحياة الإنسانية في ظل هذا العالم المعولم، ومن ثمة البحث عن الطرق والأليات المتاحة للتعامل مع المشروع الحداثي بما يضمن للإنسان العربي قيمة الانتماء والهوية وعدم الخروج عن التعاليم الثابتة التي رسم حدودها الدين الإسلامي، إنها دراسة تحليلية للواقع المعاصر المثقل بالمشاكل والهموم الأنطولوجية والاكسيولوجية نتيجة التفريط في جانبه الروحاني والتضحية به في سبيل تحقيق المزيد من الانتصارات المادية النفعية التي لا تعطي للإنسان المكانة التي يستحقها كذات فاعلة مفضلةً عن غيرها من الموجودات، لذلك كانت الإشكالية المحورية لهذا العمل هي كيف نطرح على الحداثة قضايا الراهن الإسلامي؟ بمعنى البحث في تجليات الحداثة على مصير الأمة الإسلامية التي أصبحت تعيش في ظل ترسانة من المفاهيم المصطنعة التي لا علاقة لها بالدين الإسلامي وشريعتها السمحة على الإطلاق من أجل تقسيمه وخلق بؤر الصراع والقتال بين أفراده، والواقع أفضل دليل على ذلك، من هذا المنطلق تفرعت الاشكالية الأساسية إلى مجموعة من الأسئلة الجزئية من قبيل ماذا نقصد بالحداثة الغربية؟ وهل نجحت هذه الحداثة في تحقيق أحلام الإنسان المعاصر؟ ثم كيف تلقى العالم الإسلامي مشروع الحداثة الغربي في ظل عالم عربي مزقته الحروب والصراعات السياسية إلى درجة أصبح فاقداً لتكوين معرفة حقيقة بذاته؟ ثم ما هي العلاقة بين الإسلام والحداثة ؟.

**أهداف الدراسة:** تهدف هذه والدراسة إلى تشخيص واقع الإنسان الإسلامي والبحث عن مكانه الصحيح من العالم بمعنى ما موقع العالم الإسلامي اليوم مما يحدث عالمياً؟ وهل يملكُ المقدرة على المواجهة والمنافسة في ظل عالم لا يعترف إلا بالقوة العلمية والمعرفية، وهو مازال تحت وطأة صراعات مذهبية وطائفية لم تحسم الصراع بعد حول أمورٌ أثبتها الشرع مند أكثر من أربعة عشر قرنا مضت، ومن ثمة تجددُ الخلاف والحروب تحت شعار أنا فقط من أملك الحق وما عدا ذلك فكلهم في ضلال مبين.

**منهج الدراسة:** ومن أجل الوقوف عند النقاط الحاسمة في مشروع الحداثة والدين الإسلامي اقتضى الأمر استخدام المنهج التحليلي والمقارن، من خلال تحليل مفهوم الحداثة والأسئلة المهمة التي بنيت عليها، ثم مقارنتها بالوضع الموجود في العالم الإسلامي والعربي على وجه الخصوص، بالاعتماد على المنهج التاريخي في استقراء تاريخ المفهوم والمحطات المهمة التي رافقت تطوره.

**نتائج البحث:**  أما النتائج المتوصل إليها في نهاية هذا البحث فيمكن تلخيصها في ما يلي: الحداثة مفهوم غربي رافق ظهوره مجموعة من التحولات الكبرى في تاريخ العالم الغربي عموماً والأوروبي على وجه الخصوص من أبرزها التخلص من قيود الكنيسة والتحرر من قيودها من خلال امتلاك الشجاعة في استخدام العقل الأوروبي وفق ما جاء به مشروع التنوير ، كما ارتبطت الحداثة الغربية بالعديد من المفاهيم المهمة في تاريخ الإنسان من قبيل مفهوم العقلانية، التنوير العلمانية وغيرها من المفاهيم الأخرى، ومن ثمة انتقلت إلى العالم العربي الذي وجد نفسه أمام مشروع جديد لم يتهيأ بعد لاستقباله وتطبيقه على واقعه المعاش، الأمر الذي نتج اختلاف الرؤى ووجهات النظر حوله بين من دعي إلى العناية والاهتمام به وبين من رفضه رفضاً مطلقا، ليجد الفرد المسلم نفسه مشتتاً بين العديد من الأفكار والنظريات التي لا يملك أيّ مقدرةً على فهمها واستيعابها.

وفي النهاية يجب التأكيد على الرسالة الإنسانية السامية ذات الطابع الكوني الشمولي الصالح لكل زمانٍ ومكانٍ كون مصدره مقدس لا يقبل الدراسة التاريخية وفق المناهج الخاصة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، بل دين كامل يؤسس للعيش المشترك ويبعث على تنمية قيم التسامح واحترام الأخرين مهما اختلفت لغاتهم أو جنسياتهم أو لونهم أو عرقهم.

**مقدمة:** لطالما شكّلَ سؤال الدين والحداثة منعرجاً حاسماً في دراسة الواقع الإنساني الإسلامي في خضم التحولات الكبرى التي عرفها العالم في القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين من تغيرات راهنة مسّت جميع مناحي الحياة الإنسانية ومن ثمة محاولة الوقوف على مجموعة من الأسئلة الحاسمة المتعلقة بالمصير الإنساني الذي أصبح يعيش ضمن مفاهيم لا يعيها ولا يملك المقدرة لإدراكها إدراكاً حقيقياً، بل هي مفاهيم يتم صناعتها لتلائم أغراض معينة تحت غطاءات دينية بمعنى الترويج للمشاريع السياسية والاجتماعية تحت أغطية دينية وهي في حقيقتها لا علاقة لها بجوهر الدين من قريبٍ أو بعيد، بل تعبيرٌ عن سياسات ايديولوجية نابعة من ثقافة الحداثة ونتائجها المتعددة على الواقع الإنساني المعقد والمتداخل مع بعضه البعض في ظل العالم الرقمي المعولم الذي يعيش مرحلة تقدم رهيبٍ لم يعرف مثله العالم مند تاريخه.

لقد طرقت الحداثة الغربية العديد من الأبواب التي كانت مقفلة بإحكام لا يسمح بالاقتراب منها مهما كانت الظروف والأحوال لتعلن عن أحلامها الكبرى التي وعدت الإنسان المعاصر بها ولكنْ يبدو أنها لم تنجح في الفاء بوعودها الكبرى التي قطعتها لنفسها مند عصر الأنوار الغربي إلى الفترة الحديثة واكتمال مشروع العقل الغربي وصولا إلى الفترة العاصرة والراهنة وإن تعددت الانتقادات الموجهة لها خصوصا بعد ظهور مرحلة ما بعد الحداثة التي أرادت تجاوز نقائص الحداثة الغربية التي لم تستطع الإجابة عن كل هموم الإنسان المعاصر ومشاكله، ومن ثمة ضرورة العودة من جديد إلى تلك الأسئلة المغيبة من مسار الحداثة الغربية ولعل من أبرزها الاهتمام بالجانب الإنساني في الحياة الإنسانية وعودة مملكة القيم والأخلاق إلى الصدارة باعتبارها الراعي الرسمي لكينونة الإنسان الذي فصل فصلاً تاماً بين جانبه المادي والأخر الروحاني أو بعبارة أخرى الرفض القاطع للدين تحت مفاهيم جديدة أكثر موائمة مع مقتضيات الحداثة ومشاريعها المستقبلية من قبيل العلمانية والعولمة وغيرها من المرادفات.

أما بالرجوع إلى الواقع العربي الإسلامي فإن الحديث عن الحداثة قد نتج عنه سجالات متعددة وجدل محتدم بين فئات ومذاهب مختلفة، بين من قبل بالحداثة ودعي إلى تجسيدها في الواقع الإنساني الإسلامي وبين الطرف الأخر الرافض لها بجميع أشكالها وصفاتها، وبين فئة أخرى دعتْ إلى الأخذ بالإيجابيات التي جاءت بها الحداثة ورفض سلبياتها انطلاقاً من أننا نعيش في عالم واحدٍ ولا يمكن الانعزال والجمود وغلق جميع الأبواب التي تدعوا إلى التطور والتقدم والنهل من مشارب العلوم والمعارف مهما كانت مصادرها ومنابعها، ومن ثمة البحث عن قراءات جديدة للدين الإسلامي في ظل التحديات الراهنة التي يعيشها العالم المعاصر على جميع الأصعدة بعيداً عن كل التأويلات الفاسدة التي أخدت بالقشور ونسيت أو تناست اللُبْ والجوهر الحقيقي للدين الإسلامي الذي أسس لواقعٍ منفتح على الغير لا منغلقٍ على ذاته وواقعه، من هنا كانت دعوة الدين الإسلامي صريحةٌ في مواكبة كل التحولات التي يعيشها الإنسان عبر مراحله المختلفة طيلة تاريخه دون أنّْ يمسُ ذلك الخطوط الحمراء التي لا يجب تجاوزها مهما كانت الظروف باعتبارهِا مصدراً مقدساً لا يخضع لنفس ما يتخضعُ له النصوص الإنسانية ومناهجها المتنوعة في ظل عالم معقد من جميع جوانبه. وعليه فلا يمكن الوقوف على حقيقة الأسئلة الكبرى التي قامت عليها الحداثة الغربية والأخرى العربية من دون تتبع المفهوم وخصائصه الكبرى ومن ثمة الاسقاطات التي يمكن مقاربتها في ظل الواقع المعاصر الذي يعيشه الإنسان المسلم المثقلِ بالمشاكل والهموم الوجودية والقيمية التي تعصفُ بمصير الإنسان، بما تقدمه له من مفاهيم مضللة لا علاقة لها بجوهر دينه ونمط المعيشة التي حثَّ عليها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فما هو مفهوم الحداثة الغربية والعربية؟ وما هو مصير الإنسان في ظلِ التحولات الكبرى التي يعيشها اليوم في جميع مجالات حياته؟

**1- ماهية الحداثة قراءة في تجليات المفهوم في العالم الغربي والعربي المعاصر:** إن مفهوم الحداثة من المفاهيم المعقدة والمتداخلة مع غيرها من المفاهيم المتقاربة معها في المعنى واتساع مجالها البحثي الذي لا يمكن حصره في مجال معرفي واحدٍ، بل على العكس من ذلك تماماً فهي تشمل حقولً معرفية متعددة، حيث تسجل حضورها في الأدب والفن والثقافة والعلوم الانسانية والاجتماعية، ومختلف العلوم الأخرى، فهي ليستْ حكراً على معرفة بعينها بل تحضر في كل سؤالٍ يتعلق بالجانب الإنساني في شقيه المادي والمعنوي، بمعنى تحسين الواقع الإنساني والرقي به إلى درجات عليا يكون للعقل الدور الرئيسي في مرحلة التقدم والتنوير وبناء الإنسان الواعي، فالحداثة مفهومٌ زئبقيٌ فسيفسائيٌ متعدد الأوجه والألوان ما يعني أن التعامل معه يقتضي ضرورة التمهل في التعامل معها والتدرج في معرفة المفهوم سواءٌ في جانبه اللغوي أو الاصطلاحي حتى يتضح المعنى الحقيقي الذي تطرحه الحداثة والمقاربات الكبرى التي طرقتها من زوايا مختلفة و الانتقادات التي وُجِهَتْ لها وغيرها من المسائل الكبرى ذات العلاقة الوطيدة بمفهوم الحداثة وتجلياتها في العالم المعاصر.

يشير مفهوم الحداثة في مدلوله اللغوي إلى لفظ الحديث وهو نقيض القديم، ومنه كلمة الحدوث بمعنى أن الشيء لم يكن بعد وتم ايجاده، فالحداثة تعني الحديث أي المناقض للقديم كما جاء في معجم العرب، الحديث نقيض القديم، وحدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة وأحدثه هو، فهو محدث وحديث.[[1]](#footnote-1) ويقابلها في جانبها الغربي لفظ modern-modernité  وmodernisme ، وقد ارتبط مفهوم الحداثة بالفترة الحديثة أو جاء كمرحلة للفصل بين القديم والجديد مع ضرورة القطيعة مع الفكر القديم كما جسدته عصور النهضة وصولا إلى الفكر المعاصر أين التجسّدْ الفعلي للحداثة.[[2]](#footnote-2) من هنا تتضح بعض معالم الحداثة باعتبارها منتوج غربي بامتياز ارتبط بمرحلة حاسمة في تاريخ العالم الغربي الذي كان يعيش مرحلة ظلامية تعود إلى سيطرة سلطة الكنيسة على كل مناحي الحياة الإنسانية وسدِ كل منابع التفكير الحر واستخدام العقل، إلا ذلك الذي توافق عليه السلطة الدينية الكنسية، الأمر الذي نتج عنه تقييد الحرية وفرض عقوبات قاسية على العلماء والمفكرين تصل إلى درجة القتل والاعدام، والتاريخ أفضل الشهود مثلما هو الحال مع غاليلو غاليلي وغيره من المفكرين الذين تم اعدامهم لأنهم خالفوا تعاليم الكنيسة، وعليه كانت الحداثة بمثابة تحرير العقل الغربي من كل القيود والدعوة الصريحة إلى استخدام العقل بطريقة سليمة تمكن الفرد الأوروبي من تجاوز مرحلة الكنيسة، لذلك نجد أن فترة الحداثة قد سبقتها محطات أخرى ذات أهمية كبرى في تاريخ الإنسان من بينها مرحلة النهضة الأوروبية والتنوير الغربي الذي دعي إلى الجراءة في استخدام العقل وفق ما قدمه الألماني **كانط** في إجابته المشهورة حول سؤال **التنوير** ، ومن ثمة تعدد الأسئلة التي اهتمت بها الحداثة مند مراحلها الأولى طيلة تاريخها، هذا ما نجده في المفهوم الاصطلاحي للحداثة والأفكار الجوهرية التي تقوم عليها، ترتبط الحداثة بمجموعة من المصطلحات من قبيل مصطلح التراث والتحديث، التجديد، العصرية، التنوير، الإبداع، البنيوية، ومفاهيم أخرى ذات صلة بها لأن الحداثة ليست مجرد مفهوم ثابت بل مجموعة من الأفكار الحيوية والمتجددة باستمرار ضمن واقع الإنسان المعيش، طبعاً لا نريد التفصيل في هذه المفاهيم كونها ليست موضوعنا في هذه الورقة البحثية بل فقط نشير إلى بعض النقاط المهمة والأساسية التي يمكن الاستفادة منها في تشخيص واقع الحداثة والنقاط التي بنيت عليها، فالتراث يشمل كل ما ورثه الإنسان سواءٌ في جانبه المادي أو المعنوي أو الديني لذلك رفضت فئة من المفكرين الحداثيون فكرة التراث منادين بضرورة تجاوزه والثورة عليه ونقده وغيرها من المفاهيم ذات العلاقة المباشرة بالتراث الإسلامي على وجه الخصوص[[3]](#footnote-3)، أما مفهوم التحديث فيعيني في جانبه اللغوي نقيض القديم وفي هذا تقارب وتشابه بينه وبين مفهوم الحداثة، ومنه جاء لفظ حدث الشيء يحدث حدوثاً وحداثة، أما في جانبه الديني فالتحديث والإحداث له معنى أخر حيث وردت أحاديث كثيرة تحدر من الإحداث بمعنى استحداث أمور لا وجود لها في الدين الإسلامي منافية لما ورد في الشريعة ومخالفةً لتعاليمها[[4]](#footnote-4)، وعلى هذا الأساس فُهِمَتْ الحداثة على أنها مرتبطة بالتحديث في الجانب الديني بمعنى إنشاء عبادة أو عقيدة ليست من الدين، فهل يعني هذا أن الحداثة كلها مساسٌ بالدين وتشويهٌ لمعانيه وتعاليمه السامية أم أنّ فيها بعض الجوانب الايجابية في مقابل الأخرى السلبية؟.

لقد تعددت وجهات النظر واختلفت في العالم العربي والإسلامي حول مسألة الحديث والحداثة حيث هناك من قبلهُ وهناك من رفضهُ نتيجة تعدد المذاهب والمنطلقات الفكرية التي عرفها العالم الإسلامي فكل واحد منها يدّعيْ امتلاكهُ المطلق للحقيقة وما دونه فهو باطل ولا أساس له على الإطلاق، وفي هذا تناقضٌ صارخٌ لا معنى له وهو مخالف لكل تفكير عقلاني صحيح، أما مفهوم التجديد فهو مأخوذٌ من الجدةِ، وجدّدَ، وتجدّدَ الشيء بمعنى صار جديداً، في حين معناهُ في الشرع فهو إحياءُ ما اندرسَ من معالم الدين وانطمس من أحكام الشريعة، وإعادة ما ذهب في السنن وخفي من العلوم، فهو مرادفٌ للجديد الذي يجب احياؤه دون أن يمس بالمعارف القديمة[[5]](#footnote-5)، هذا في جانبه الديني، أما في بقية الحقول المعرفية الأخرى فله معاني أخرى تختلف من معرفة إلى أخرى لأنه يتضمنُ جانباً من الإبداع وتقديم البديل عن القديم الذي أصبح غير قادرٍ على مواكبة المعارف الحاصلةِ في العالم المتغير باستمرار ، وعليه فمفهوم الحداثة من المفاهيم التي تحتاج إلى معرفة حقيقية بجميع مداخلها ومطارحاتها حتى يسهل الوصول إلى معناه المتغير من فلسفة إلى أخرى ومن منطلق إلى أخر، لأننا هنا بصدد الحديث عن حداثة غربية واكبت مجموعة من التحولات الكبرى التي عرفها الإنسان الغربي مند عصر النهضة الأوروبية التي كانت بمثابة الولادة الجديدة لأوروبا بعد أن تم دفنها قبل موتها في مرحلة العصور الوسطى، يقول **محمد سبيلا** في مؤلفه" **مدارات الحداثة**":" لعل من العسير كل العسير تطويق معنى الحداثة وضبط كل مكوناتها، وإنما يكون من اليسير رصدُ بعض معالمها وعلاماتها في بعض المجالات، فالحداثة هي ظهور ملامح المجتمع الحديث المتميز بدرجةٍ معينةٍ من التقنية والعقلانية والتعددُ والتفتحُ، والحداثة كونياً هي ظهور المجتمع البرجوازي الغربي الحديث في إطار ما يسمى بالنهضة الغربية أو الأوروبية[[6]](#footnote-6)، وفي هذا إقرارٌ بمدى الصعوبة الكبيرة التي تعترض الباحث في ميدان الحداثة نتيجة شدة تعقيدها وتداخلها مع المنجزات العلمية والتقنية التي عرفها العالم المعاصر على وجه الخصوص، لأنه لا يمكن فصل الحداثة عن العولمة والعلمانية والثورة العلمية التقنية في القرن العشرين، وغيرها من الانجازات التي ترتبط بالحداثة من قريبٍ أو من بعيد، ولن نجد في هذا الصدد أفضل مما كتبه **بودلير** في مقاله الخصب " مصوراً الحياة الحديثة المنشور عام 1863م:" **إن الحداثة هي العابر، الزائل العارض، إنها نصف الفن، أما النصف الأخر فهو الأبدي والثابت[[7]](#footnote-7)"** إنّ هذه الكلمات الموجزة تخفي ورائها العديد من الاستفهامات التي تتعلق بمعنى الحداثة وكيف يتم الربط فيها بين ما هو زائل وما هو ثابت حيث يقول **دافيد هارفي** " أودُ أن أولي اهتماماً فاحصاً لهذا الربط بين ما هو قصير الأمد وعابر وبين ما هو أبدي وثابت، فقد تراوح تاريخ الحداثة كتجربةٍ جمالية من أحد جانبي هذه الصياغة الثنائية إلى الجانب الأخر مماّ يبدو عادةً وكأن بإمكانهِ أن يتأرجح في المعنى حتى يستدير إلى الاتجاه المعاكس[[8]](#footnote-8)"، فهي تحمل طابعاً جمالياً وفنياً يتمثل في قدرتها على تجاوز الصورة القديمة البائسة للإنسان نحو صورة أخرى أكثر حداثيةٍ تقوم على رد الاعتبار للذات الإنسانية وإعطائها المكانة التي تستحقها كذات حرة واعية مستقلة بذاتها لها القدرة على اختيار ما تريد بعيدً عن كل القيود والإكراهات مهما كانت طبيعتها، فحتى الجانب الديني لم يرغم الفرد على التدين بل أعطاه الحرية في الاختيار مع ضرورة تحمل المسؤولية التامة عن اختياراته ومن ثمة ما يترتب عنها من أفعال وسلوكات، لذلك لا يمكن فهم الحداثة من خارج أسوارها بل لابد من الغوص في أعماقها الدفينة التي تخفي في مضمونها العديد من الأسئلة التي هيّ بحاجة ماسةٍ إلى إعادة طرحها من جديد في ظل التحولات التي يعرفها العالم.

فالحداثة هي الشيء الجديد الذي يعطي صورة معاكسة عن الشيء القديم كما تعرف أيضاً بأنها الانتقال من حالة قديمة إلى حالة جديدةٍ، بمعنى تشمل وجود تغير ما، أما عن دور الحداثة في التاريخ فيعدُ الفيلسوف الألماني **هيجل** أول شخصٍ اهتم بمفهوم الحداثة، ومن ثمة ربطها بالتطورات الفكرية التي ظهرت في أوروبا والتي اتسمت بظهور تياراتٍ أدبيةٍ وفنية لم تكنْ معروفة سابقاً[[9]](#footnote-9)، فالحداثة ليست مفهوم ثابت كبقية المفاهيم الأخرى بل مرحلة فكرية مرتبطة بالرهانات الجديدة التي تميز الواقع الإنساني، فهي لا ترتبط بتاريخٍ معين ومحددٍ بقدر ما هي انعكاس للتحول في طريقة العيش والانعكاسات الأخرى المرافقة لها في جميع المجالات، وإذا كانت في ظهورها ارتبطت بالمجال الفني والأدبي في بداياتها، فربما يكون سببُ ذلك مدى قدرة الجانب الفني والجمالي والأدبي على حمل رسالة الإنسان وطرح قضاياهُ وهمومه في قوالب جمالية تختزل الحياة الإنسانية في مشاهد فنية وأدبية راقية وتنقل معاناة الإنسان الحديث الذي خرج من واقع عالمي ترجمتْ نتائجه في حربين عالميتين كانت نتائجهما وخيمة على الإنسان الغربي وبقية شعوب العالم، ففي خضم هذا القلق العالمي أخدتْ لفظة الحداثة العديد من المفاهيم والتعريفات وظلالاً متباينة لا نستطيع أن نراها أكثر من أنها مجرد امتداد طبيعي للقلق الأوروبي، ومدى اضطراب افكاره ومبادئه وفلسفاته وآدابه فكما يقول علي رضا النحوي في كتابه" الحداثة من منظورٍ ايماني" :" **ولقد رأينا تطور هذا القلق والاضطراب ابتداء من عصر الظلمات ممتداً في ظلمةٍ تغشاها ظلمةٍ إلى الكلاسيكية الرومانسية والواقعية، والرمزية، والسريالية والوجوديةّ[[10]](#footnote-10)"** فقد ارتبطت الحداثة بمرحلة خاصة جداً في تاريخ العالم الغربي الأوروبي على وجه الخصوصهي مرحلة انتقال العقل الأوروبي من الجمود إلى التحرر نحو أشياء جديدة لم تكن موجودة من قبل، ولكنها لا يجب أن تخرج عن إطار خدمة الوجود الإنساني وقيمه النبيلة وإلا تحولت إلى أداة تقيد الإنسان لا تحرره، وهي الفكرة التي نادى بها الكثير من المفكرين والفلاسفة وعلماء الاجتماع الدين اتخذوا من نقد الحداثة العنوان الأول لمشاريعهم الفكرية وعلى رأسهم المدرسة النقدية الألمانية المعروفة باسم مدرسة فرانكفورت .

أما قاسم شعيب فيُّعَبِرُ عن الحداثة بقوله:" ترتبط فلسفة الحداثة الغربية كلياً بفكرة سيادة العقل، ولذلك تبدوا العلاقة مفصليةٌ بين العقلانية المادية والحداثة التي انطلقت مع بداية القرن السادس عشر عندما بدأ التوجهُ نحو قراءة كتاب الطبيعة بدل قراءة الكتاب المقدس، فهذه الطبيعة لم تعد أيةٌ يجب أن تذكرنا بعظمة الخالق بل أصبحت موضوع ملاحظةٍ وتجربة"[[11]](#footnote-11) بمعنى الانتقال إلى مر حلة جديدةٍ في استخدام العقل والاستفادة من افرازات العقل البشري بما يحقق له حياة أفضل، وهي الفكرة ذاتها التي عبّرَ عنها الألماني كانط في تعريفه للتنوير الذي رافق تحولات عميقة في تاريخ الفرد الغربي بقوله:" التنوير هو خروج الإنسان من قصوره الذي اقترفهُ في حقِ نفسهِ وهذا القصور هو عجزهُ عن استخدام عقلهِ إلا بتوجيهٍ من إنسانٍ أخر ، ويجلب الإنسان على نفسه، لأن هذا القصور عندما لا يكون السبب فيه هو الافتقارُ إلى العقل بل إلى العزم والشجاعةِ اللدينِ يحفزانهِ على استخدام العقل بغير توجيهٍ من إنسان أخرن لتكنْ لديك الشجاعةُ لاستخدام عقلك ذلك هو شعار التنوير[[12]](#footnote-12)" ومن ثمة لا يمكن فصل الحداثة الغربية عن مشروع التنوير الأوروبي الذي أعطى للعقل المكانة الجوهرية التي يستحقها والتي لا يمكن تعويضها بأي ملكة أخرى، وهي الفكرة ذاتها التي حثَّ عليها الدين الإسلامي من خلال تأكيده الصريح على معيار التفضيل الإنساني القائم في العقل كفصل نوعي يفصل الإنسان عن بقية الموجودات الأخرى، ويعطيه الأولوية التي يستحقها باعتباره ذاتاً فاعلةً قادرة على التغييّر بما يفيد وينفع الإنسان في حياته وعلاقاته مع غيره في إطار تجربة العيش المشترك التي تقتضي من دون أيّ شك تنويراً حقيقيا ً أصيلاً نابع من جوهر الإنسان في فهم واقعه المعيش والمشاركة في طرح الأسئلة المحورية التي تهمُ وجوده على الكوكب الأزرق هذه الأسئلة التي لا يمكن التغاضي عنها مهما كانت الأسباب والمبررات خصوصاً تلك المتعلقة بالمصير الإنساني في خضم الانتهاكات التي أصبحت العنوان الرئيسي للوجود الإنساني سواء الحروب المختلفة التي أخدت شعارات جديدة لم تكن من قبل مثل الحروب الدينية والحرب باسم القضاء على المجموعات الإرهابية المصطنعة ومحاربة التطرف بجميع أشكاله وغيرها من المبررات التي أصبحت تحصد الأرواح حصداً تحت منطق العدالة وحماية حقوق الإنسان وكرامته، إضافة إلى السياسة المتبعة في استنزاف ثروات الطبيعة والتهديد الكبير الذي يمسُ بالطبيعة جراءَ هذه الانتهاكات الصريحة اليوم على الكوكب الأزرق.

2**- الدين الإسلامي وأسئلة الحداثة الكبرى بحثٌ في فينومينولوجيا الإنسان المعاصر:** كما قلنا سابقاً لقد عرفت الحداثة العديد من التغيرات التي شملت كافة مجالات الحياة الإنسانية نتيجة الأبعاد المختلفة التي طرحتها على جميع الأصعدة، والمقاربات الكبرى الناتجة عنها، ومن ثمة العودة إلى تلك الأسئلة المحيطة بالإنسان الإسلامي في زمن الحداثة وما بعد الحداثة خصوصاً أمام الآراء المتنوعة وتعددُ وجهات النظر التي تطرحها الحداثة بين القبول والرفض، والتحريم ومنع الاشتغال بها، أو بين قبول البعض منها إذا كانت تتماشى مع ما جاء في الشريعة الإسلامية غير معارضة لها، ومادام الفرد المسلم يعيش في عالمٍ واحدٍ يخضع لمنطق العولمة والليبرالية وما يتبعها من تفسيراتٍ وتأويلاتٍ تنعكس على مفهوم الحياة الإنسانية ككل، فإن طرح سؤال الحداثة الدينية يعدُ مطلباً ملحاً في خضم هذه التضاربات الفكرية التي يعيشها العالم العربي المعاصر على جميع الأصعدة الاجتماعية السياسية والثقافية والاقتصادية وغيرها من القضايا المهمة ذات الصلة المباشرة بها، حيث برزت العديد من الأسماء الفكرية التي اهتمت بالبحث في القراءات الجديدة للواقع العربي الاسلامي المشتت من كل الجهات والذي يبحث عن ذاته المجهولة وسط ركام الدمار الذي يعيشه ويتألم لما حلّ به، وهو الذي كان بالأمس القريب في أحسن أحواله العلمية والمعرفية والحضارية، ولعل من بين هؤلاء المفكرين المعاصرين نجد محمد أركون، حسن حنفي، مصطفى مليكان، عبد المجيد الشرفي، عبد الجبار الرفاعي، أبو يعربْ المرزوقي، والقائمة طويلة لا يمكن ذكرها كلها هنا، حيث نجد عبد الوهاب المسيري بقراءاته النقدية للمشروع الحداثي الغربي في ظل التحولات الراهنة التي يعيشها عالمنا العربي، كذلك محمد شحرور، محمد عمارة وغيرهم كثير.

فكلْ هؤلاء وإنّ اختلفت وجهات نظرهم ومنطلقاتهم الفكرية في التعامل مع الفكر الإسلامي فإنهم يشتركون في نقاط أساسية لا يجب الاختلاف فيها وهي: أنّ الدين الإسلامي رسالةٌ عالمية سمحةٌ وتعاليمه قابلةٌ للتطبيق في كل زمان ومكان، ولا يمكن التشكيك في ذلك على الإطلاق، يقول عبد الجبار الرفاعي في إشارته إلى أراء كل من أركون، ومليكان، عبد المجيد الشرفي، حسن حنفي:" **يتفقُ المفكرون الأربعة الدين أدلوْ بآرائهم في هذه الحوارات على قبولهم الدين ووعي رسالته في بناء الحياة الروحية، وتطهير الحياة الأخلاقية للإنسان، وحماية الكائن البشري من الاغتراب الكوني، والقلق الوجودي، والعبثية واللامعنى، مثلما يتفقون أيضاً على ضرورة عبور الأسسِ ومناهج التفكير والأدوات المتوارثة المنتجةِ للتفكير الديني في الإسلام من المنطق الأرسطي وعلم الكلام، أصول الفقه، قواعد الفقه، علوم القرآن والتفسير، وقواعد الحديث...إلخ بوصفها المادة الأساس لتشكيل ذلك التفكير، التي يكرّرُ العقل الإسلامي فيها ذاته باستمرار، ولا يني ينسخ ما قاله الأوائل من أئمة الفرق والمذاهب ويستأنف قواعدهم وعباراتهم ومصطلحاتهم وأراءهم كما هيّ** [[13]](#footnote-13)" بمعنى الدعوة إلى تجاوز الأفكار النمطية الساذجة التي تغلقُ باب التفكير الحر الأصيل النابع من قدرة المسلم على استخدام عقلهِ بما يتوافق مع دينهِ الإسلامي الذي حثَّ وأكدَ بصريح العبارات على الدعوة إلى استخدام العقل بما ينفعهُ في حياتهِ ومماتهِ بعيداً عن كل الأسْيّْجةِ المغلقةِ التي عطّْلتَ التفكير وأوقعتِ العالم الإسلامي في جمودٍ وركودٍ مازالت نتائجه إلى حد الأن حيث يقول الرفاعي:" هذه الشهادات ترسمُ لنا صورةً متعددة الأوجه متنوعة الملامح لتحديث التفكير الديني وتؤشر لمساعي هؤلاء المفكرين في اقتحام المناطق اللامفكر فيها واهتمامهم بإثارة سؤالٍ لا هوتي جديد، لا يستسيغهُ التفكير الديني السائد وتحدّرُ منه الجماعات الإسلامية بل تتهمهُ بالمروق والزندقة[[14]](#footnote-14)" هذه المناطق اللامفكر فيها هي التي تستدعي إعادة البحث فيها وتقديم قراءةٍ جديدة تتماشى مع الواقع الراهن الذي يعيشه الإنسان العربي اليوم، الذي لا يمكنه الانغلاق على ذاته فقط بل لابد من الانفتاح على بقية الشعوب والأمم بما يسمح لنا بالتطور والتقدم العلمي والمعرفي البناّءْ، ويضيف **الرفاعي** قائلاً:" ربما نتفق مع بعض أو لا نتفق مع كل ما يقوله هؤلاء المفكرون، لكن كلامهم جديرٌ بالتفكير والنظر والمراجعة.... وإنهم يقترحون مناهج وأدوات للنظر وأليات الفهم القديمة، وتسعى للإفادة من منظور الهيرمينوطيقا وعلوم التأويل الجديدة... ويقترضون مسائلك أخرى لإعادة بناء التفكير الديني والرؤية الروحية للعالم والحياة المعنوية في الإسلام .... لعلها تؤول إلى إخراج المسلم من مأزق داعش وشقيقاتها وأمهاتها، وتطبيع العلاقة بين المسلم ومحيطهِ وعالمه الراهن"[[15]](#footnote-15)، هذا الوعي الذي يقتضي امتلاك رؤية واقعية في التعامل معه بعيداً عن التفسيرات والتأويلات السطحية غير المؤسسة التي لا يجب الأخذ بها مهما كانت الظروف والأحوال.

وفي السياق ذاته يصفها عدنان علي رضا النحوي بقوله:: والحداثة لفظةٌ محببةٌ ولكنها أخدت اليوم أبعاداً واسعة في بلادنا وخارجها وأصبحتْ تحملُ من الامتداد ما أبعدها عن أصلها اللغوي، ومن الغرابة ما أبعدها عن الأمة الإسلامية وتاريخها ودينها، ثم إنها حملت في فكرها غموضاً يجبُ توضيحهُ وشراً يجب دفعه، ومكراً يجب رده"[[16]](#footnote-16) وفي هذا توضيحٌ للأبعاد الخفية التي تختزلها لفظة الحداثة من ثمة ضرورة التعامل بطريقة ذكية تمكن الفرد المسلم من تمييز ما يحتاجه ونبد ما يهددُ مصيرهُ ويجعله تابعاً لثقافات الغرب المتوحشة وأساليبها الأنانية في التعامل مع الإنسان وفق الرؤية الليبرالية القائمة على المنفعة والمصلحة الفردية، وهي الأفكار التي يجب التركيز عليها خصوصاً في المرحلة الراهنة التي عرفت تحولاتٍ كبرى في القرن الحادي والعشرين وتنامي سياسة الكراهية والتطرف بين الشعوب والأمم.

ترى **رجاء الرحيوي** في قراءتها للمشروع الحداثي عند المفكر المغربي طه عبد الرحمن من خلال دراستها لكتاب" الحداثة عند طه عبد الرحمن من النقد المعرفي المزدوج إلى بناء المفهوم" لصاحبته سعيدة الملكاوي، هذا الكتاب الذي يعبّرُ عن مدى الجدل القائم وتضارب الآراء حول مفهوم الحداثة الأمر الذي خلقَ تيارات مختلفةٍ في العالم الغربي والإسلامي، ومن ثمة البحث في تجليات رؤية طه عبد الرحمن للحداثة الإسلامية، فمفهوم الحداثة يحملُ العديد من الدلالات الواسعة التي يصعبُ حصرها، فهي ليست خاصية غربية بل خاصية إنسانية، وإذا لم تفهمْ على هذا الأساس فقدت قيمتها ومكانتها في تغيير الأوضاع السلبية التي يعيشها الإنسان والمضي به نحو أوضاعٍ جديدة أفضل من التي كانت سائدة وقد يحدث العكس تماماً من ذلك، فقد تطرقت الملكاوي إلى إشكالية العلاقة القائمة بين الدين والحداثة لأنها تعتبر من القضايا الحاسمة في ظل ما يشهدهُ الواقع العربي من تحولات واهتزازات شملت جميع مناحي الحياة الإنسانية هذا من جهة أما من جهة أخرى فالحداثة سواءٌ الغربية أو الحداثة في العالم العربي إن كانت توجد حقيقة حداثة فعلّية لم تعطي الدين المكانة الحقيقية التي يستحقها بل قامت في الكثير من أفكارها على ضرورة رفض الدين ومعاداته تحت مسميات جديدة من قبيل العلمانية أو العقلانية من خلال الاحتكام إلى العقل في كل شيء فهو الأساس الذي تقوم عليه الحداثة، إضافة إلى الاعتماد على العلم ومناهجهِ والابتعاد عن الغيبيات والإيمان بفكرة التقدم التي لن تكون إلا من خلال توفر عنصر الحرية الفردية والديمقراطية الليبرالية، واحترام حقوق الإنسان[[17]](#footnote-17)، وإن كان الواقع يثبت ويؤكد العكس تماماً بمعنى الفشل الذريع الذي وقعت فيه الحداثة التي لم تستطيع تحقيق وعودها المقدمة للإنسان المعاصر الغربي، لذلك قامت فلسفات جديدة هي ما يعرف بما بعد الحداثة التي حاولت تجاوز قيم الحداثة الغربية ونقدها من جذورها.

**2-1: نقد الحداثة الغربية والوقوف على حقائق لم تتحقق**: يقوم هذا النقد على المرتكزات الجوهرية التي بنيتْ عليها الحداثة الغربية من خلال فصلها الكلي بين مجال العلم أو المعرفة العلمية، وبين عالم القيم والأخلاق، ومن ثمة الوقوع في أزمة معرفية انعكستْ سلبياً على الواقع الإنساني الغربي الذي أصبح يعيشُ خواءٌ روحياً رهيباً نتيجة إفراغ الحياة من كل مدلولاتها القيمية والأخلاقية، وبالتالي الأثار السلبية الناجمةِ عنها من كلِ جوانبها، فرغم القوة العلمية وما أنجزتهُ من نتائج في جميع مجالات الحياة إلاّ أنها أوقعتْ الإنسان الغربي في مآزق حقيقية وهو ما عبرتْ عنه مدرسة فرانكفورت من خلال فلسفتها النقدية القائمة على تحليل الواقع الغربي الاجتماعي والسياسي والاقتصادي التي تحاول إعادة بعثِ الروح الإنسانية في الفرد الغربي من جديد، وهي الأفكار التي تحدث عنها كل من هابرماس وكارل أوتو أبل[[18]](#footnote-18)، فنظرية التواصل قدْ كشفتْ بما لا يترك مجالاً للشك عن النقص الكبير الذي وقعت فيه الحداثة ومن ثماره بروز الاستلاب على الأخلاق الدينية معلنةً أن الأخلاق مستقلةٌ في وظائفها التقويمية وأنها تضاهي العلم في شمولية القواعد وعقلانية الأصول لذلك يدعوا طه عبد الرحمن إلى حداثةٍ أخلاقية بعيداً عن حداثة الأخرين التي تعمل على تدمير حقيقة الإنسان كما نبّهَ في الوقت ذاته إلى أن الأمة الإسلامية تتعرضُ لاعتداء مفهومي من خلال إلزام الأمة الإسلامية بمفاهيم محددة، الغرض منها إعادة صياغةِ عقول المسلمين وأخلاقهم حتى يسهل قيادتهم، كما يؤكد أيضاً على ضرورة التعامل مع التراث بالكيفية اللائقة والأخذ بعين الاعتبار مقومات الماضي والحاضر ورفض كل أشكال الجمود مهما كانت طبيعتهُ، ومن ثمة إحياء مشروع الحداثة العربية التي تثمن إرث القيم الصالحة للمجتمع مقسماً العقل إلى ثلاثة أقسامٍ هي: العقل المجرد، العقل المسددْ، العقل المؤيد[[19]](#footnote-19)، وكل هذه الأقسام تعبيرٌ عن القدرة على استخدام العقل بالكيفية ذاتها التي تسمح للفرد المسلم بتجاوز وضعه البائس إلى وضع جديد يسمح له بالتفكير الحر النافع بعيداً عن كل الخلفيات الدينية المذهبية التي شوهتْ معاني الدين الحقيقية، وأحلتْ مكانها قيم مستوردة لا تصلح في البيئة الإسلامية وتربتها الخصبة التي تحتاج دائما إلى انتقاء البذور الجيدة التي تؤتي ثمارها اليانعة في ضوء تعاليم الشريعة الإسلامية المضيئة التي تقتدي بقناديل القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتسمح للعقل بأن ينهل من نورهما الوهاج القابل للتطبيق في كل زمان ومكان.

وعليه تكون ضرورة فهم الدين حقيقةً من الأولوياتِ التي يجبُ بلوغها لدى الإنسان المعاصر اليوم خصوصاً وأنه يتلقى العديد من التفسيرات والتأويلات النابعة من تعددِ المذاهب واختلافها وتزييفها للحقائق وإنقاصها، لأنه لا يمكن الجزم بامتلاك الحقيقة المطلقة لدى كل هؤلاء بل تبقى الحقيقة الوحيدة المطلقة هي الحقيقة المقدسة النابعة من تعاليم القرآن والسنة النبوية الشريفة، فكل الأفكار تقبل الإضافة والتطوير والتعديل بما يتماشى مع منطلقاتها ومبادئها حيث يرى **محمد برهومة**  في مقاله الموسوم ب" سؤال الدين والحداثة": " أنه ليس ثمة شخص قديماً أو حديثاً يمكن أن يجزم أن فهمه أو تفسيرهُ هو وحده دون سواه، وما لمْ نتجاوز فكرة أن الأقدمين هم الأحسن تفسيراً، وأنّ تأويلهم للنص الديني هو الأكملْ وليس لناّ أن نتجاوزهُ سنبقى نراوح مكاننا في سؤال الدين وعلاقته بالحداثة"[[20]](#footnote-20) فالصراع المحتدم بين الدين والحداثة والعلمانية ليس وليد اليوم والفترة المعاصرة، بل يرجعُ إلى تاريخهِ القديم المتجسدْ في الصراع العلماني بين الديانتين اليهودية والمسيحية في العالم الغربي وبين العالم الإسلامي يقول **محود حيدر** في مقاله:" حين تستعيدُ الحداثة الفائضة سؤال الدين":" لقد شهد الغرب الثقافي على امتدادِ قرونٍ مضتْ مساجلات لم تهدأ استحقت فيه عبارة إزالة السحر عن العالم عقل الحداثة الغربية برمتهِ حيث كان الدين على وجه الحصر هو المقصود من العبارة التي تحولت مع تقادم الزمن إلى ما يشبهُ الأيقونة الإيديولوجية .... وإذا كانت أيقونة إزالة السحر قد آلت إلى مخزن الذاكرة الغربية فإن أثارها وتداعياتها لا تزال محايثةً للفضاء النخبوي العربي عبر استظهارات شتى تارةً بالدعوة إلى الإصلاح الديني وطوراً بفصل الدين عن الدولة، وثالثة بالتنظير إلى العلمنةِ الشاملةِ والتحديث وتوطين التقنية[[21]](#footnote-21)"، فالحداثة تأكيدٌ على الوضع المعقدْ الذي يعيشه العالم العربي اليوم في ظل تحدياتٍ راهنة مفروضةٍ عليه من جميع الجوانب، وعليه التعامل معها بالكيفية الملائمة حتى لا ينسلخ عن مقومات هويته وثقافة انتمائه إلى العالم العربي الإسلامي بعيداً عن كل التأويلات الخاطئة التي تركتْ المعنى الحقيقي الأصيل للحداثة وسعت لاهثةً وراء سرابٍ لا وجود له على أرض الواقع. ويضيفُ قائلاً : " لم تكنْ التنظيرات التي استهدفت تطهير الدين كحاضر أصيل في التاريخ سوى أحد تعبيرات الملحمة النقدية التي واجهتها الحداثة تلقاء موقفها من الإيمان الديني، صحيح أن العلمنة الحديثة لم تقدرْ على استئصال البعد الروحاني للإنسان، لكنها تمكنت من استنزاله إلى أدنى مراتب الاهتمام الأخلاقي، وما ذاك إلا لشغفها بليبرالية المجتمع المفتوح واستغراقها في تعظيم الذات الفردية[[22]](#footnote-22)" هذه الذات التي وجدت نفسها في عالم جديد لا يعبر عن مشاكلها ووجودها الفعلي، فأصبحت تعيش في عالم مغترب عنها وعن واقعها، بلغة الألماني إريك فروم الذي وجه سهام نقده إلى الحداثة الغربية التي استطاعت أن توفر كل ما يحتاج إليه الإنسان المعاصر، إلا شيَء واحدً وهو إنسانتيه التي تم اهدراها عنوةً، ومن دون أي مبالاة ، الأمر الذي نتج عنه غياب الجانب الروحاني القيمي عن تقاليد الحياة المعاصرة.

**3- الإسلام والحداثة بين أسلمة الحداثة وتحديث الإسلام:**  لقد شكّلتْ جدلية الحدثة والدين الإسلامي حركية فكرية واسعة النطاق انقسمت حولها الآراء ووجهات النظر بين من يدعوا إلى ضرورة إخضاع الحداثة إلى تعاليم الدين الإسلامي تحت ما يطلق عليه بأسلمة الحداثة، وبين فريق ٍ أخر يرى العكس أي الدعوة إلى تحديث الإسلام والأخذ بأفكار الحداثة ونظرياتها، الأمر الذي نتج عنه بروز العديد من المطارحات والمقاربات الفكرية والفلسفية و الدينية التي تمحورت حول هذه المسألة التي مازالت مطروحةً للنقاش إلى حدِ الأن، إنه جدالٌ بين الاتجاه المحافظ الداعي إلى أسلمة الحداثة من خلال جعلها متوافقةٌ مع أحكام الإسلام وتشريعاتهِ التي تتماشى مع روح العصر الحداثية، وما حملته من توجهات جديدة لم تكن موجودة من قبلْ حول هذه المسألة الحساسةِ جداً، ولعل من بين الآراء التي برزت هنا موقف طه عبد الرحمن الذي وجهَ انتقاداته للفئتين السابقتين الأولى لأنها مجرد تقليدٍ لفئة المتقدمين من المسلمين والثانية تضمُ فئة المتأخرين من غير المسلمين، فمقلدةُ المتقدمين قد اسقطوا المفاهيم الإسلامية التقليدية على المفاهيم الغربية الحديثة كأن يسقطوا مفهوم الشورى على مفهوم الديموقراطية، أما مقلدةُ المتأخرين فيتعاطون اسقاط المفاهيم الغربية المنقولة على المفاهيم الإسلامية المآصولة كأن يسقطوا مفهوم العلمانية على مفهوم العلم بالدنيا، ومفهوم الحرب الدينية على مفهوم الفتح[[23]](#footnote-23)، وغيرها من المفاهيم التي يؤولونها بحسب مصالحهم ورغباتهم حتى وإن كانت خاطئة أو لا تصلح للتطبيق، المهم الخروج بآراء مصطنعة تعبر عن طموحاتهم المستقبلية رغم نتائجها السلبية على الإنسان والمجتمع.

فالإسلام رؤية كونية شاملة متكاملة الأبعاد والرؤى تسعى دائماً إلى الرقيِّ بالإنسان إلى أعلى الدرجات السامية التي تنم عن مدى قيمته الأسمى المميزةِ له عن غيرهِ من الموجودات باعتبارها رؤية كونيةٌ شمولية نابعةٌ من مصدرٍ مقدسٍ يضمن للإنسان جميع جوانبهِ المادية والمعنوية التي توّضحُ له معالم الحياة الأصيلة بعيداً عن كل مظاهر البؤس والمعاناة، فالإسلام يمثل كلاًّ متكاملاً يملك رؤيته الكونية الخاصة من خلال ما يطرحه من حقائق تتعلق بمبدأ الوجود وخلق العالم، ومصير الإنسان والعالم الغيبي[[24]](#footnote-24)، وغيرها من المسائل ذات الصلة المباشرة بواقع الإنسان المسلم في ظل التحولات السريعة التي يعرفها العالم اليوم في زمن الثورة الصناعية الرابعة.

إن النظام التشريعي الحقيقي الأصيل يهدف إلى تحقيق أمال الإنسانية وطموحاتها في العيش بكرامة وحرية تكفل للفرد قيمته الأخلاقية والقيمية وتمنع عنه كل مظاهر الظلم والعنف والإهانة مهما كان نوعها، إنه سعي نحو بلوغ أعلى درجات الإنسانية التي تقتضي دائماً الموازنة بين جانبه المادي والأخر المعنوي، ومن ثمة يتربع الإسلام على باقي الديانات التوحيدية باعتباره الدين المتكامل الذي لم يتعرض للتحريف والتزييف، إنه دين كامل لا يعتريه نقصان مهما كان نوعه صالح لمرافقة الإنسان في كل زمان ومكان، فهو يخرج عن إطار المكانية والزمانية فأحكامه ثابتة لا تقبل التبديل والتغير في كل الظروف والأحوال.

ففي القرآن الكريم تتوضح معالم وأبعاد الإسلام الثلاثة وهي العقيدة، الشريعة والأخلاق التي يجبُ أن تترسخَّ في ذهن الفرد المسلم بعيداً عن التفسيرات والتأويلات ذات المشارب المختلفة والثقافات المتعددة، ومن ثمة فلابد دائماً من الرجوع إلى منابع الدين الأصيلةِ من أجل فهمهاَ فهماً صحيحاً بعيداً عن المصادر الزائفة التي دخلت إلى الوعي الإسلامي عبر منافد شتى، فالتأثيرات التي تلقاها المسلمون في بداية تشكّلِ وعييهم جاءت من كل حدبٍ وصوب، الثقافة العربية الجاهلية، القرآن والسنة النبوية الشريفة، الثقافة اليهودية والمسيحية، ثقافة الشعوب غير العربية التي دخلت الإسلام، وهذا كله يعني أن العقل المسلم لم يكنْ في يومٍ من الأيام عقلاً إسلامياً خالصاً، بل كان دائماً عقلاً بانورامياً يتضمن ثقافات متعددةٍ، ليس الإسلام إلا جزءاً من مكوناتها"[[25]](#footnote-25)، وبالتالي الدعوة إلى إعادة قراءة أراء رجال الدين المختلفة التي جعلوها بمثابة النصوص المقدسة التي لا يمكنُ إخضاعها لميزان العقل السليم، فهي من الأخطاء المتوارثة التي لا علاقة لها بالدين الإسلامي من قريبٍ أو من بعيد، لأنه لم يرفض استخدام العقل والاجتهاد في فهم تعاليم الدين الإسلامي دون تجاوز الخطوط الحمراء المسموح بها، فالقرآن كتاب مقدس سماوي لا يخضع لمناهج العلوم الإنسانية التي تصلح لأعمال البشر فقط، حيث يقول قاسم شعيب:" أما ما يحاول بعض الوضعيين تأكيدهُ من أنَّ الإسلام تشكل تاريخياً وأنه لابد أن يخضع بدورهِ لمناهج العلوم الإنسانية في قراءاته كما هيَّ علوم الأنثروبولوجيا وعلم اجتماع الأديان ... ومناهج التاريخانية والتفكيكية فهو ادعاءٌ لا أساس له لأن الإسلام ليس إبداعاً بشرياً كما يقولون دون أن تسعفهم الأدلة بل هو وحي إلهي[[26]](#footnote-26)" فالإسلام لم يمنع الإنسان يوماً من الاستفادةِ من العلوم والمعارف مهما كان مصدرها وجنسيتها، بل حثٌ في الكثير من المواضع على ضرورة الأخذ بكل العلوم والمعارف والاستفادة منها قدر المستطاعْ، حيث يضيف قائلاً:" هذا الخلط بين الإسلام وقراءاته لم يستثني مجالاً معرفياً واحداً، ليشمل الكلام والتفسير والحديث والفقه، وما سوى ذلك"[[27]](#footnote-27)، فالمشكلة ليست في مبادئ الدين ولا في القيم التي يدعوا إليها وإنما المشكلة الحقيقية هي في الآراء التي قدمت حولها والتفسيرات الإنسانية التي فشلتْ في إعطاء مفهوم واضح يضع الإنسان في مكانه الصحيح ويرفض كل الأفكار التي تكون مصدرا لإلحاق الأذى بالأخرين.

وعليه فالإسلام في جوهرهِ دعوة إلى الحرية والعدالة وكل القيم الإنسانية الرفيعة مقدماً ما يكفي من التشريعات التي تحمي وتدافع عن هذه القيم، فعلى أساسه فقط يمكن للإنسانية أن تبلغَ غاياتها القصوى في الإبداع والبناء والإنجاز، ومن ثمة يملك الإسلام ما لا تملكهُ الحداثة المؤسسة على رؤية ماديةٍ للحياة، فهو لا يهتم فحسب بحاجات الإنسان المادية، بل يعطي للجوانب الروحية والمعنوية أهميتها التي تستحقها، إنه يعرف أن الإنسان كائن مركب يحتاج إلى إشباع حاجاته المادية والروحية من أجل بناءِ ذاته بطريقة متوازنةٍ وصحيحة، [[28]](#footnote-28) فأمام كل هذه المطارحات الفكرية التي تمخضت عن مشروع الحداثة نتيجة ما تضمنه من أبعاد متنوعةٍ ومتداخلة مع بعضها البعض خصوصاً في جانبها الديني الذي عرف مجموعة من الأفكار والنظريات المتضاربة في ما بينها بين قبول ورفض ، ومن ثمة يبقى سؤال الدين في الفكر الاسلامي المعاصر من القضايا المحورية والحاسمة التي تحتاج دائماً إلى إعادة قراءاتها من جديد بما يتوافق مع الواقع المتغير والمتجددِ باستمرار من أجل الدفاع عن المبادئ الإسلامية الثابتة ضد كل أشكال التطرف الديني والأفكار العلمانية التي جعلتْ هدفها الوحيد رفض الأفكار الدينية والدعوة إلى التمرد عليها والخروج على تعاليمها السمحة يقول قاسم شعيب:" والمفارقة أن الإسلاميين عندما يعلنون أنَّ الإسلام في مبادئه وأحكامه وقيمه شيء ثابتٌ بثبات الطبيعة الإنسانية، وهو بذلك فوق التاريخ لأنه يخاطب في الإنسان هذه الطبيعة تماماً كما يخاطبُ فيه قيمهُ الرفيعة التي لا مجال لتغييرها هي الأخرى، عندما يعلنون الإسلاميون ذلك ترتفع أصوات العلمانيين لتتهمهم بالجمود والرجعية"[[29]](#footnote-29) .

**خاتمة**: في نهاية هذ البحث المتعلق بأسئلة الحداثة الكبرى في القرن الحادي والعشرين، هذا القرن الذي عرف تحولات مسّتْ جميع مناحي الحياة الإنسانية الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية والدينية، هذه الأخيرة التي عرفت تغيرات حاسمة خصوصاً بعد تنامي سياسة الكراهية المؤسسة على البعد الديني والطائفي سواءٌ في العالم الغربي أو العالم الإسلامي الذي وجد نفسه في دوامة من الاشكاليات التي لا جواب لها، إلا من خلال امتلاك الوعي الحقيقي النابع من مصادر التشريع الإسلامي الأصيل بعيداً عن كل التمذهبات التي لا أساس لها على أرض الواقع فقد ازدادت حدة الصراع الديني من خلال الإساءة للرموز الدينية من قبيل الرسومات المسيئة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى تقييد الحريات الدينية، ووصف الأقليات الدينية بالتطرف الديني والعمل الإرهابي وغيرها من المرادفات التي لا معنى لها واقعياً بل أفكارٌ ايديولوجيةٍ من صنعهم، على الرغم ممّا تقرهُ الديانات السماوية من ضرورة احترام حرية المعتقد والشعائر الدينية وهي الفكرة ذاتها التي نصت عليها المواثيق الدولية وهيئات حقوق الإنسان، ولكن الواقع عكس ذلك.

من هنا كانت أسئلة الحداثة بمثابة القضايا المتجددة دائما لأنها مرافقة للمسار الإنساني الذي يعرف هو الأخر تغيّراتْ شتى في طبيعة الفرد وبنية المجتمعات وغيرها من الأمور التي تعود إلى إفرازات الحداثة والعولمة الرأسمالية ليجد الفرد المسلم أمام واقع مختلف شكلا ومضموناً، وعليه التكيّفِ معهُ في كل الظروف والأحوال، ليبقى سؤال الحداثة والدين الإسلامي سؤالاً مفتوحاً على مناحي فكرية ودينية متعددة تحتاج إلى قراءات جديدة تتوافق مع العالم المعيش.

**قائمة المصادر والمراجع:**

**1**- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط.

2- عدنان علي رضا النحوي، الحداثة من منظور ايماني، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، 1441ه.

3- بكر يوسف اشتية، مفهوم الحداثة السائلة وأثرها على النضال الفلسطيني، جامعة النجاح الوطنية، كلية الفنون الجميلة، 2018.

4- دافيد هارفي ، دروب ما بعد الحداثة بحثٌ في أصول التحول الثقافي، ترجمة أحمد حسان، 2002.

5- عبد الجبار الرفاعي، الدين وأسئلة الحداثة، مكتبة الفكر الجديد، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2015.

6- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، 1982، ط3.

7- قاسم شعيب، فتنة الحداثة، المركز الثقافي العربي، مؤسسة مؤمنون بلاحدود، الطبعة الأولى 2013، المغرب.

8- محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي، الحداثة في العالم العربي، دراسة عقدية، بحث لنيل درجة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين بالرياض، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ،1414ه.

9- محمد سبيلا، مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2009.

2- المواقع الإلكترونية

1- بين أسلمة الحداثة وتحديث الإسلام، هل من مسارات أخرى، تاريخ الاطلاع : 22/10/2020م، متوفر عل الموقع:

<https://www.arabi21.com/story1208685s>

2- رجاء الرحيوي، قراءة في كتاب الحداثة عند طه عبد الرحمن من النقد المعرفي المزدوج إلى بناء المفهوم، تاريخ الاطلاع:22/10/2020م، متوفر على الموقع:

<https://www.islamonline.net/3396s>.

3- محمد برهومة، سؤال الدين والحداثة، تاريخ الاطلاع : 22/10/2020م، الموقع: <https://www.allghad.coms>.

4- محمود حيدر، حين تستعيدُ الحداثة الفائضة سؤال الدين، مؤسسة الفكر العربي، تاريخ الاطلاع:22 /10/2020م/ متوفر على الموقع:

<https://www.arabthougt.org/opinions>

.

1. - ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط، ص 697. [↑](#footnote-ref-1)
2. - عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، 1982، ط3، ص، 17. [↑](#footnote-ref-2)
3. - محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي، الحداثة في العالم العربي، دراسة عقدية، بحث لنيل درجة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين بالرياض، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ،1414ه، ص،26. [↑](#footnote-ref-3)
4. - المرجع نفسه، الصفحة نفسها. [↑](#footnote-ref-4)
5. - المرجع نفسه، ص،39. [↑](#footnote-ref-5)
6. - محمد سبيلا، مدارات الحداثة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2009، ص،123. [↑](#footnote-ref-6)
7. - دافيد هارفي ، دروب ما بعد الحداثة بحثٌ في أصول التحول الثقافي، ترجمة أحمد حسان، 2002، ص، 14. [↑](#footnote-ref-7)
8. - المرجع نفسه، الصفحة نفسها. [↑](#footnote-ref-8)
9. - بكر يوسف اشتية، مفهوم الحداثة السائلة وأثرها على النضال الفلسطيني، جامعة النجاح الوطنية، كلية الفنون الجميلة، 2018، ص، 11. [↑](#footnote-ref-9)
10. - عدنان علي رضا النحوي، الحداثة من منظور ايماني، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، 1441ه، ص،18. [↑](#footnote-ref-10)
11. - قاسم شعيب، فتنة الحداثة، المركز الثقافي العربي، مؤسسة مؤمنون بلاحدود، الطبعة الأولى 2013، المغرب، ص،19. [↑](#footnote-ref-11)
12. - المرجع نفسه الصفحة نفسها. [↑](#footnote-ref-12)
13. - عبد الجبار الرفاعي، الدين وأسئلة الحداثة، مكتبة الفكر الجديد، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2015، ص، 5. [↑](#footnote-ref-13)
14. - عبد الجبار الرفاعي، الدين وأسئلة الحداثة، مكتبة الفكر الجديد، المرجع السابق، ص،7. [↑](#footnote-ref-14)
15. - المرجع نفسه، ص،8. [↑](#footnote-ref-15)
16. - عدنان علي رضا النحوي، الحداثة من منظور ايماني، المرجع السابق، ص،69. [↑](#footnote-ref-16)
17. - رجاء الرحيوي، قراءة في كتاب الحداثة عند طه عبد الرحمن من النقد المعرفي المزدوج إلى بناء المفهوم، تاريخ الاطلاع:22/10/2020م، متوفر على الموقع:

    <https://www.islamonline.net/3396s>. [↑](#footnote-ref-17)
18. - المرجع نفسه. [↑](#footnote-ref-18)
19. - المرجع نفسه. [↑](#footnote-ref-19)
20. - محمد برهومة، سؤال الدين والحداثة، تاريخ الاطلاع : 22/10/2020م، الموقع: <https://www.allghad.coms>. [↑](#footnote-ref-20)
21. - محمود حيدر، حين تستعيدُ الحداثة الفائضة سؤال الدين، مؤسسة الفكر العربي، تاريخ الاطلاع:22 /10/2020م/ متوفر على الموقع:

    <https://www.arabthougt.org/opinions> [↑](#footnote-ref-21)
22. - محمود حيدر، حين تستعيدُ الحداثة الفائضة سؤال الدين، المرجع السابق. [↑](#footnote-ref-22)
23. - بين أسلمة الحداثة وتحديث الإسلام، هل من مسارات أخرى، تاريخ الاطلاع : 22/10/2020م، متوفر عل الموقع:

    <https://www.arabi21.com/story1208685s> [↑](#footnote-ref-23)
24. - قاسم شعيب، فتنة الحداثة، المرجع السابق، ص،143. [↑](#footnote-ref-24)
25. - قاسم شعيب، فتنة الحداثة، المرجع السابق، ص،146. [↑](#footnote-ref-25)
26. - المرجع نفسه، ص، 147. [↑](#footnote-ref-26)
27. - المرجع نفسه، ص،148. [↑](#footnote-ref-27)
28. - قاسم شعيب، فتنة الحداثة، المرجع السابق، ص،11. [↑](#footnote-ref-28)
29. - المرجع نفسه، ص،151. [↑](#footnote-ref-29)